الهجـرة الأنـدلسيّـة إلـى المغـرب

د. محمد رزّوق

كلّية الآداب / عين الشقّ

الدار البيضاء

-I-

إنّ أوّل هجرة مهمّة تتحدّث عنها المصادر التاريخية هي هجرة الربضيّين من قرطبة إلي مدينة فاس، حيث استقروا بالعدوة التي تحمل اسمهم (عدوة الأندلسيّين). وذلك في عهد إدريس الثاني، وترجع إلى ظروف داخلية تتعلّق بالأندلس ذاتها [1]. ويذكر ابن أبي زرع أنّ الذين استقر منهم بفاس بلغ 8000 بيت[2]، ويضيف قائلا «فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا في البناء يمينا وشمالا إلى ناحية الكدان، ومصمودة، وفوارة، وحارة البادية والكنيف إلى الرميلة،

1) انظر : ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 50، ابن عذاري «البيان المغرب» 2 : 103، المقّري : نفح، 1 : 322، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص : 223.

2) روض القرطاس، ص 47.

فسميت عدوة الأندلس»[3]

وسيكون لهذا الاستقرار أبعاد حضارية كبيرة :

- فقد احتضنت «عدوة الأندلس» بفاس في هذه الفترة عددا من المزارعين المهرة، إذ يذكر ابن أبي زرع في هذا الصدد «وتختصّ عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفيّة كالتفاح الطرابلسي الحلو الأصفر الذي ليس مثله في جميع المغرب لحسنه وحلاوته ... والتفاح اللّيوبي والطلحي والكلخي، وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت ..»[4]

- واستقبل المغرب في هذه الفترة عددا من الصنّاع والحرفيّين الأندلسيين، إذ يذكر ابن حيان أنّ موسى بن أبي العافية طلب من النّاصر لدين الله أن يوفد له عدداً من الصناع والأدوات لبناء قلعة فلبّى طلبه «... وأخرج إليه محمد بن وليد بن فشتيق، رئيس المهندسين لديه، مع ثلاثين بناء، وعشرة من النجّارين، وخمسة عشر من الحفارين، وستة من الجيارين المحسنين لعمل الجير، وستة من الأشارين لأشر الخشب، ورجلين من الحدادين، ورجلين من الحصادين، تُخُيِّروا من حذّاق طبقاتهم ...»[5]

- ونذكر في الميدان العلمي جامع الأندلس، إذ ساهم الأندلسيون في بنائه ليصبح منارة علم بالمدينة إلى جانب جامع القرويين[6].

-II-

ونسجل في المرحلة الانتقالية بروز عدة تأثيرات متبادلة بين الطرفين :

- نشير أولا إلى أنّ قرطبة كانت تقبل على منتجات المغرب، خاصة ذهب الصحراء عن طريق فاس وسبتة وسجلماسة، حتى أنّ الدنانير الذهبية الأندلسية كانت تضرب باسم الأمويين في مدن مغربية مثل نكور وفاس وسجلماسة[7].

- كما لا ننسى في هذا المجال التأثير الحضاري الذي أحدثته في هذه الفترة هجرة أفواج كبيرة من المغاربة البرابرة إلى الأندلس، خاصة أنّ بعضهم توصّل إلى تكوين إمارات مستقلة بعد سقوط قرطبة. أما المغرب الزّناتي فقد استفاد من جهته بتبعيّته للأندلس من حيث تبنّيه للمذهب

---

3) نفس المصدر والصفحة.

4) المصدر السابق، ص 46.

5) المقتبس، 5 : 338.

6) انظر علي الجزنائي، زهرة الآس، 92، روض القرطاس ص 76 -77

7) دانييل أوستاس، تاريخ النّقود العربية، مقال بمجلة البحث العلمي، عدد مثنّى 14 - 15، يناير / دجنبر 1869، ص 138.

المالكي، اقتداء بقرطبة، وترسّخت جذوره منذ ذلك الوقت إلى الحدّ الذي جعل الراعي الأندلسي يصرح : « ليس في بلاد المغرب كلّها- سودها وبيضها - شافعي ولا حنفي ولا حنبلي، بل كلّهم على مذهب مالك. لا يشارك في ذلك، ولم يظهر أحد من أهل البدع ولا من الخوارج في المغرب ... »[8].

-III-

سيقوم المغرب بدور حاسم في الميدان السياسي بعد انهيار الحكم المركزي بالأندلس، وقيام ملوك الطوائف، وقد نتج عن ذلك امتزاج حضاري سينمو ويستمرّ طوال عهد المرابطين والموحّدين: إذ توافد عدد كبير من الحرفيّين والصنّاع الأندلسيين إلى المغرب في هذه الفترة، وخاصة في ميدان دباغة الجلود وتصفية قصب السكر، وصناعة الخزف. وفي ميدان البناء والمعمار نشير إلى أنّ يوسف بن تاشفين استقدم الصناع من قرطبة إلى مدينة فاس للزيادة في مساجدها وسقاياتها وحماماتهاوخاناتها[9]. كما استقدم علي بن يوسف المهندسين لبناء قنطرة تانسفيت [10]، كما قاموا ببناء القنوات التي تنقل الماء من الجبل إلي مراكش، وهذا النوع هو الخطارات التي ما تزال تستعمل إلى الآن[11].

وفي العهد الموحّدي نذكر أبا يعقوب يوسف[12] الذي زيّن مراكش وإشبيلية معا بأروع البنايات والمؤسسات العمومية [13]، وواصل ابنه يعقوب المنصور ذلك، فأضاف إلى مدينة مراكش وفاس مدينة الرباط التي أصبح التأثير فيها واضحا لعلاقتها الوطيدة بالأندلس [14]. ولم يقتصر الأمر على الميدان الصناعي والحرفي، بل تعداه إلى الميدان العلمي إذا استقرّ عدد من العلماء الأندلسيين بالمغرب، ناشرين معارفهم وطرق تعليمهم :

- ففي ميدان العلوم الصّحيحة نذكر على الخصوص : علي بن محمد بن فرحون القرطبي في الرّياضيات[15]، وأحمد بن حسان القطاعي في الهندسة [16]، وعبد الملك بن زهر، وابن

---

8) انتصار الفقير السالك، لترجيح مذهب الإمام مالك، ص 118.

9) علي الجزنائي، جنى زهرة الآس، 42.

10) عبد العزيز بن عبد الله، <u>معطيات الحضارة المغربية</u>، 1 : 113

11) المصدر السابق، 1 : 115

12) يرجع اهتمامه الكبير بالحضارة الأندلسية إلى كونه عاش في إشبيلية، وتشبع بالثقافة الأندلسية، وجمع خزانة تضاهي مكتبة الحكم الثّاني، وقد تعدّدت منشآته بإشبيلية إلى الدرجة التي زعم فيها بعض الباحثين أنّ إشبيلية كانت أقرب إلى قلبه من مراكش.

13) عبد العزيز بن عبد الله ، المصدر السابق، 1 : 113.

14) لكونها كانت قاعدة انطلاق الجيوش الموحدية نحو الأندلس.

15) أحمد بن القاضي، جذوة، 2 : 483 رقم 545.

16) عبد الواحد المراكشي، المعجب، 350

طفيل، وأبا الوليد بن رشد في الطبّ والصيدلة[17].

- وفي ميدان العلوم العقلية : نذكر وصول عدد من فلاسفة الأندلس إلى المغرب، إذ نجد عبد المؤمن - مثلا - يدعو ابن رشد سنة 548 هـ / 1153 م إلى مراكش «ليستعين به على ترتيب المدارس التي أنشأها بمراكش»[18]، كما نذكر تعلّق الخليفة الموحدي يوسف بابن طفيل [19].

- وفي ميدان العلوم الشّرعية : ساهم أندلسيو المغرب في تطوير العلوم الشرعية من تفسير، وقراءات ، ورسم، وحديث وأصول، ومن هؤلاء نذكر يحيى بن محمد بن خلف، وابن يوسف الغافقي[20].

- في ميدان الأدب والفنّ : أدخل الأندلسيون إلى المغرب في هذه الفترة فنّ التّوشيح، إذ توافد عليه عديد من الوشاحين، ومن هؤلاء أبو بكر بن زهر الحفيد، كما أدخلوا إليه الزّجل الأندلسي حتي أصبحت مقروءة بالمغرب، ومن الزجالين الأندلسيين نذكر سهل بن مالك الغرناطي[21]. ونشير أيضا إلى أنّ الموسيقى الأندلسية تسرّبت في هذا العصر إلى المغرب أيضا انطلاقا من العصر المرابطي، إذ انتقلت إليه شخصيات مرموقة في هذا الميدان، عملت على نشرها في مدن مغربية عديدة[22]. ومن هؤلاء ابن باجة رائد هذه الموسيقى، إذا استقر بالمغرب عشرين سنة باعتباره وزيرا لمخدومه يحيى بن يوسف بن تاشفين[23]، ومن الموسيقيين الوافدين من الأندلس كذلك في هذه الفترة أبو الحسن على الغرناطي تلميذ ابن باجة، ممّن برع في إلحاقها وتعليمها لطلبته[24].

-IV-

تواصل المدّ الحضاري الأندلسي بالمغرب في العهد المريني بفضل هجرة عدد كبير من الأندلسيين من مختلف الفئات : علماء وأدباء، وأطباء وحرفيّين، وسوف نعطي نماذج للميادين التي برز فيها هؤلاء :

---

17) انظر مزيدا عن هؤلاء عند أبي أصيبعة، طبقات الأطباء : 2 : 66. وكذلك محمد المنوني، العلوم والآداب على عهد الموحّدين، 123 - 134.

18) محمد زنيبر، ابن رشد والرّشدية في إطارهما التاريخي، ضمن أعمال ندوة ابن رشد، ص 28.

19) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 349.

20) محمد المنوني، المصدر السابق، 44، 58.

21) المصدر السابق، ص 148.

22) محمد المنوني، تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب، مقال بمجلة البحث العلمي، العددان 14-15 يناير / دجنبر 1969 ، ص 50

23) أحمد المقرّي، نفح، 4 : 618.

24) المصدر السابق، 4 : 140

- **الميدان السياسي** : استعان عدد من سلاطين بني مرين بعدد من سياسيي الأندلس وقضاتها وكتابها، مثل ابن رضوان المالقي الذي «كان يكتب عن السلطان أبي سالم»[25]، إلى أن أصبح «من مفاخر المغرب، في براعة خطه، وكثرة علمه، وحسن سمته، وإجادته في فقه الوثائق، والبلاغة في الترّسيل عن السلطان، وحوك الشّعر، والخطابة على المنابر، لأنّه كان كثيرا ما يصلّي بالسلطان ...»[26].

وقد اقترح عليه مخدومه أن يكتب له رسالة في «السياسة الملوكية والسّير السّلطانية»، فاستجاب له بوضع كتابه المشهور : الشهب اللامعة في سماء السياسة الجامعة[27]. وهناك أندلسي آخر من أندلسيي البلاط المريني اهتمّ بهذه التنظيمات الحكومية، ذلك أن عليّا بن مسعود الخزاعي الأندلسي نزيل فاس (توفي سنة 789 هـ / 1387 م) قدّم لمخدومه موسى بن أبي عنان سنة 786 هـ / 1384 م كتابه المشهور : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول من الحرف والصنائع والعمالات الشّرعية[28].

- **في الميدان العسكري** : غزا الأندلسيون أيضا الميدان العسكري، إذ نلاحظ حضورهم بقوة في الجيش المغربي، وقد اعتلى عدد منهم مناصب القيادة، بل صار بعضهم حكما فصلا بين أفراد هذا الجيش. ففيما يتعلق بالجيش البري نلاحظ أن الأندلسيين كانوا يشكلون فرقة خاصة يرمون «بقوس الرجل»[29] وكان عددهم أزيد من ألفي فارس[30]، علاوة على فرقة الأندلسيين المشاة[31].

وقد استعان سلاطين بني مرين كذلك بالأندلسيين في الأسطول : مهندسين أو قادة. وهكذا بنيت «دار الصناعة» بسلا علي يد مهندس أندلسي هو محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي (ت 714 هـ / 1314 م)، قبلة مدينة سلا من جهة وادي أبي رقراق. ومن بين قادة هذا الأسطول من الأندلسيين محمد بن يوسف بن الأحمر، وقد عينه أبو عنان قائدا أعلى[32]. وشارك هذا القائد في مناورات بحرية كان يشرف عليها أبو عنان نفسه. وقد لعب هذا الأسطول دورا هاما في التجارة بين المغرب والممالك الإسبانية.

---

25) ابن خلدون، التعريف، 23.

26) نفس المصدر والصفحة.

27) نشر بالدار البيضاء سنة 1984 بتحقيق علي سامي النشار.

28) طبع بتونس بتحقيق الشّيخ معاوية التميمي.

29) انظر وصف«قوس الرجل» عن ابن هذيل، حلية الفرسان ص : 211 - 212.

30) محمد المنوني، وصف المغرب أيّام السلطان أبي الحسن، ورقات:291

31) المصدر السابق، 70

32) ابن الحاج النّميري، فيض العباب، ص 19.

- الجالية العسكرية الإسبانية بالمغرب :

بلغ عدد أفرادها أيام أبي الحسن المريني أربعة آلاف أو أزيد[33]، وقد كانت طائفة منهم تقوم بالحراسة الليلية في ظاهر القصر المريني بفاس الجديد، وكان لهذه الجالية ربض هام تحدّث عنه العمري في مسالك الأبصار[34].

- **في الميدان العلمي** : يذكر ابن خلدون في هذا الصدد : « ... وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار، عند تلاقي ملك العرب بها .. فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنّاع، وتعلقوا بأذيال الدولة ... »[35].

وفعلا فقد توافد على المغرب في هذه الفترة أيضا كسابقتها عدد من علماء الأندلس وأدبائها وشعرائها، واستطاعوا أن يتبوّؤوا مكان الصدارة على الساحة العلميّة.

- V -

توالت الهجرات الأندلسية إلى المغرب خلال العصر الحديث في فترات متعدّدة يمكن أن نقسمها إلى ثلاث فترات متميزة :

فترة العهد الوطّاسي : تتميّز هذه الفترة بقدوم الأمير الغرناطي إلى المغرب بعد سقوط غرناطة، إذ استأذن السلطان محمد الشيخ الوطاسي في القدوم إلى فاس فرخّص له[36]. وتذكر المصادر أنه «اجتمع معه خلق كثير ممن أراد الجواز ...»[37]، فقد كان عدد السفن التي وضعت رهن إشارة المهاجرين عشرة أقلّت السلطان وحاشيته وقواده والفقهاء والقضاة والأطباء والعلماء الحكماء، وبلغ ما نقلته هذه السفن 1.130 شخصا[38]، بينما بلغ العدد الكلّي الذي رافق أبا عبد الله من مرسى عذرة 2.919 شخصا، وفي نفس الوقت أبحر من مرسى المنكّب نحو 1166 شخصا[39].

---

33) محمد المنوني، ورقات، 231، اعتمادا على مسالك الأبصار للعمري.

34) محمد المنوني، المصدر السابق، 273.

35) المقدمة ، ص 750، 751 .

36) ذكر أحمد المقرّي أنه : «كان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك» انظر، النفح، 4 : 527.

37) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص 43

38) La Fuente Al Cantara, Historia de Granada. 4:81

39) رسالة فرناندو دي ثافرا إلى الملكين، أرشيف سيمنكا، Negociado Mar y tierra ملف 1315.

وقد استقر الأمير الغرناطي بمدينة فاس في ظل الوطاسيين وبنى بها قصورا على الطّراز الأندلسي، رآها ودخلها المقري[40]، والحدث الثّاني الذي يمكن تسجيله خلال هذه الفترة هو استقرار جالية أندلسية مهمة بمدينة تطوان، إذ طلب القائد علي المنظري من محمد الشيخ الوطاسي الإذن له بتجديد بناء المدينة، وذلك حتى تتمكن الجالية الأندلسية المصاحبة له من اتخاذها مقرا دائما لها[41]، وأذن له فعلا بذلك[42].

فترة العهد السعدي الأوّل :حاول الملوك السعديون في فترة إقبال دولتهم أن يفتحوا الباب على مصراعيه للمهاجرين من الأندلس، ويقدّموا لهم كل المساعدات سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي.

ففي عهد عبد الله الغالب تذكر المصادر أنه «جمع أهل الأندلس على يد الدغالي، فرسم له بذلك، ودار عليهم في بلاد المغرب وجمعهم طوعا وكرها، وكتب منهم في الديوان أربعة عشر ألفا، ونقلهم إلى مراكش فأقطعهم الجانب الغربي منها، وهو روض الزيتون سكنى ... من المزارع والضياع واتّخذوا فيه البساتين[43]».

كما كان المنصور يفتح لهذه الجالية الأندلسية باستمرار سبل السّعة والارتزاق، بل والارتقاء إلى مختلف المناصب الحسّاسة في الدولة من جيش وإدارة، إلى غير ذلك، فلاقى الأندلسيّون بهذا الصّنيع حظوة كبرى داخل جيش المنصور[44] وأسطوله، فكانت الجالية الأندلسيّة تشارك المغاربة في عملياتهم البحريّة. بل تعدّى الأمر ذلك إلى تقديم المساعدة للجالية الأندلسية خارج المغرب، فقد قدّم مساعدات كبيرة لأبي الغيث غالب بن القشّاش، حامي الجالية الأندلسية بتونس[45]. وقد أكدت هذا الاهتمام المصادر الأندلسية نفسها، فقد قال الشهاب الحجري في هذا الصدد :«... وأذن (المنصور) لنا في الدّخول إلى حضرته في يوم الديوان، ولمّا ابتدأت بالكلام الذي اخترته (كذا) أن أقوله بحضرته العليّة بصوت جهير، سكت جميع النّاس الحاضرون(كذا) كأنّها خطبة، فخرج السّلطان وقال : كيف يكون ببلاد الأندلس من يقول بالعربية مثل هذا الكلام، لأنّه كلام الفقهاء، وفرح بذلك كافة الأندلس القدماء، ورأينا العافية والرّضى في تلك البلاد »[46]

فترة العهد السّعدي الثّاني : نسجل قضيتين أساسيتين برزتا في هذه الفترة :

أولا : صدور قرار نفي الموريسكيين سنة 1609، وما تلا ذلك من قدوم أفواج مهمّة إلى المغرب.

ثانيا : الأوضاع المترديّة التي كان يعيشها المغرب آنذاك والتي سمحت ببروز كيانات أندلسية شبه مستقلة في كل من مصبّ أبي رقراق وتطوان.

---

40) النفح، 4 : 529.

41) انظر محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب.

42) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 1 : 247.

43) أبو القاسم الزيّاني، الترجمان المغرب، ص 350

44) عبد العزيز الفشتاني، مناهل، ص 203.

45) أحمد بن القاضي، درة الحجال، 3 : 261.

46) ناصر الدين على القوم الكافرين ص 29.

الانتقـــال إلـى المغـــرب :

كان انتقال المورسكيين إلى المغرب عن طريق المراكز التي كانت بيد الإسبان : طنجة، سبتة، مليلة، ومن هناك تسربوا إلى الداخل[47]، وينتمي هؤلاء إلى بلنسية ومنطقة الأندلس، وقشتالة، وغرناطة، ومرسية، ، وبعض العناصر من الأراجون وكطالونيا[48]، كما انتقل مورسكيون آخرون من وهران إلى المغرب بعد أن ضاقت بهم المدينة[49]، وحسب خوان لويس دي روخاس Juan Luis de Rojas فقد تجمّع عدد كبير من المورسكيين بتطوان والقصر الكبير والعرائش كي يكونوا على مقربة من إسبانيا[50]، وقد أكّد هذه الحقيقة دوق مدينة شدونة Me-dina Sidonia إذ أكّد أنّه كان يوجد بمدينة تطوان وحدها في سنة 1613 حوالي10.000 مورسكي[51].

وبصفة عامة فإنّ المصادر الإسبانية، تقدّر عدد المورسكيين الذين استقروا بالمغرب حوالي 40.000 مورسكي[52]. في حين تقدره المصادر الأندلسية بحوالي 60.000 مورسكي[53]

الجالية الأندلسية بمصبّ أبي رقراق :

استقرت خلال القرن 11 / 17 جالية أندلسية مهمّة بسلا، ودخلت على الفور في طاعة مولاي زيدان الذي كان يقدر إمكانياتها المادية والحربية، وجعلها تتمتع بنفس امتيازات أعيان المنطقة، وترك لها عشر الغنائم، بل كان يفكّر دائما في إعطائها مناصب قيادية. وقد استقرت بعد ذلك في القصبة تحت سلطة قائد سعدي، فأصلح الهورناتشيون الأسوار، وأعادوا بناء المنازل المهدّمة، فأصبحت القصبة التي كانت شبه مخربة «مدينة صغيرة». ولتعزيز قوّتهم استدعوا الأندلسيين المنبثّين في باقي أجزاء المغرب العربي، وذهبوا إلى حد تسديد مصاريف نقلهم وجعلوهم يستقرون بالقرب من القصبة، إذ انبعثت مدينة الرباط الأندلسية داخل

---

47) Juan Penella, le transfert des Morisques Espagnols en Afrique du Nord, in Etude sur les Moriscos Andalous en Tunisie, P.58.

48) Juan Penella,Los moriscos españoles Emigrados.al Norte de Africa Africa, P17.

49) Juan Penella, le transfert des Morisques... op. cit P; 86.

50) H. Lapeyre, la geographie de l'Espagne Morisque, P 207.

51) H.Lapeyre, loc.cit

52) Damian Fonseca,Justa Expulsion de los Moriscos de España p.200.

53) الشّهاب الحجري مخطوط المكتبة الجامعية بمدينة (إيطاليا) ورقة 156 ظ نقلا عن :
Louis Cardaillac, le passage des morisques en languedoc, thèse inédite, Montpellié, 1970, P. 83 note 8.

السور الموحدي القديم[54].

وعلى العموم فإنّ تاريخ الأندلسيين بالمنطقة يبرز في ثلاثة مظاهر أساسية :

* الصراعات الداخلية
* العمليّات البحرية
* العلاقات مع أوروبّا[55]

الجالية الأندلسية بتطوان :

يختلف الأندلسيون المهاجرون إلى تطوان عن إخوانهم في مصبّ أبي رقراق في عدة نقط :

- حين قدم الأندلسيون إلى تطوان، وجدوا هناك جالية أندلسية مهمّة كانت قد سبقتهم إلى المنطقة، فهيأت لهم بذلك ظروف استقبال أحسن، في حين لم تكن مثل هذه الجالية المهمة موجودة بسلا.

- كان أندلسيو تطوان يعملون تحت قيادة مغربية، بعكس أندلسي مصبّ أبي رقراق الذين كانوا يقومون بتسيير أنفسهم بأنفسهم.

- كانت العمليات البحرية بتطوان مركزة أساسا على البحر الأبيض المتوسط في نطاق ضيق، في حين كان المجال واسعا بالنّسبة إلى مصبّ أبي رقراق على المحيط الأطلسي.

وعلى العموم فإنّ المراحل التاريخية للوجود الأندلسي بتطوان تبرز كسابقتها بمصب أبي رقراق في ثلاثة مظاهر أساسية :

- الصّراعات الداخلية.
- العمليات البحريّة.
- العلاقات مع الأوروبيين[56].

الحضارة الأندلسية المغربية :

يقول ابن غالب :«ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة، تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية، فأمّا أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها، فاستنطقوا المياه وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلّموهم أشياء كثيرة لم يكونوا

---

54) انظر محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب.
55) محمد رزوق، المصدر السابق
56) نفس المصدر

يعلمونها ولا رأوها، فترفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات .وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتّاب والعمّال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة ... وأما أهل الصنائع فإنّهم فاقوا أهل البلاد ...»[57]. يشير النصّ من جهة إلى الميادين التي ساهمت فيها الجالية الأندلسية بالمغرب : الميدان الاقتصادي، الميدان العلمي، الميدان السياسي، الميدان الاجتماعي. ويشير من جهة أخرى إلى أنّ هذا الاستقرار لم يقتصر على مناطق معينة بل شمل العديد من مناطق المغرب سواء في البوادي أو الحواضر.

ميادين المساهمة :

ساهمت الجالية الأندلسية بالمغرب في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية والاجتماعية. وسنحاول أن نعرض لنماذج من هذه المساهمة.

- الميدان الاقتصادي :

الفلاحة : ساهم الأندلسيون في تطوير بعض تقنيات الريّ بالمغرب، إذ ساهموا في هذا المجال في تركيب عدة نواعير، خاصة بفاس[58]، كما ساهم أندلسيو مراكش بمدّ عدّة قنوات انطلاقا من نهر تانسفيت[59]، وقاموا باستغلال العديد من الضيعات الزراعية الممنوحة لهم من طرف الدولة[60]. وفي مجال المنتجات الزراعية نذكر اشتهار الأندلسيين بغرس أشجار الزيتون بأقطار المغرب العربي[61]، وتحسينهم لإنتاج الخضر والفواكه، وكذا تربيتهم لدودة القز[62].

ولم يكتف الأندلسيون بالجانب العملي بل اهتموا أيضا بالجانب النّظري، فقد ألّف محمد ابن علي الشّطيبي الأندلسي رسالة رتبها على ثمانية أبواب، اعتمد فيها على ما تقرّر في كتب علماء الفلاحة الأندلسيين،أمثال ابن بصّال، وابن وافد، وابن ليّون التّجيبي، كما اعتمد على

---

57) أحمد المقرّي، نفح، 3 : 152.

58) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 1 : 220.

59) Marmal Carvajal, l'afrique, 2 : 174

60) عبد العزيز الفشتالي، مناهل، 42.

61) ناصر الدين السعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، مقال بمجلة أوراق، مدريد، العدد الرابع، 1981، ص 119.

62) الحسن الوزان، المصدر السابق، 1 : 171.

تجاربه الشّخصية لاستخلاص ما يلائم طبيعة البلاد المغربية[63].

الصّناعة والحرف :حمل الأندلسيون معهم الجديد من الفنون الصناعية، بل وطوّروها بالمغرب، إذ كانت لهم مناهج خاصة في دباغة الجلود، وصناعة الحرير والصّوف، وقد أشار الحسن الوزّان إلى أنّ تجّار الصوفية بفاس كانوا كلّهم أندلسيين[64]، كما أكد مارمول أنّ لباس سيدات فاس هو تقريبا نفس لباس مُورسكيّات غرناطة[65]. ونذكر في هذا المجال أيضا صناعة الشّاشية المستعملة إلى يومنا هذا.

وعرف ميدان البناء كذلك تطورا مهما أيضا، فطراز البناء الأندلسي لم يعد يقتصر على مدن الشّمال، بل تخطّى جبال الأطلس، ودخلت الفسيفساء ونقش الحجر والجبس والفستقيات حتى الدور المتوسطة بعد أن استقر الصناع الأندلسيون في تلك المدن،

وبرع الأندلسيون أيضا في ميدان الصناعات المعدنية، فقد أكّد كل من الحسن الوزّان[66] ومارمول[67] على أنّهم كانوا يشرفون على صناعة الأسلحة والذخيرة بمدينة فاس.

الميدان الإداري والدبلوماسي :

لعب الأندلسيون دورا بارزا في الميدان الدبلوماسي، وذلك لتمرّسهم بالمعاملات الدولية ، ومعرفتهم باللّغات الأوروبية،ولثراء بعضهم فنافسوا بذلك اليهود الذين كانوا يحتكرون هذا الميدان، ومن أشهر السفارات التي اضطلعوا بها في العهد السعدي :

- سفارة أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي (1019 هـ / 1610 - 1611) : أثناء عملية طرد المورسكيين ونقل هؤلاء إلى المغرب وقع نَهب متاعهم من طرف بحارة فرنسيّين، فقدموا شكوى إلى السلطان زيدان بهذا الشأن، وقد قرّر تعيين وفد يرأسه الشّهاب الحجري مصحوبا برسالة احتجاج إلى السلطات الفرنسيّة.

- سفارة يوسف بسكيانو إلى هولندا (1034 / 1624 - 1625) : غادر يوسف بسكيانو المغرب في 20 يوليوز 1034 / 1624 مبعوثا من طرف السّلطان زيدان متجها إلى روتردام.

- سفارة محمد بنيكاس Vanegas سنة 1039 / 1629 إلى هولندا. بعثه قائد قصبة

---

63) انظر سعيد أعراب، رسالة صنعة الفلاحة، مقال بمجلة دعوة الحقّ السنة 13، عدد 1، نوفمبر 1969، ص 121 وما بعدها.

64) وصف إفريقيا، 1 : 191.

65) L'Afrique, 2 : 193

66) وصف إفريقيا، 1 : 191

67) L'Afrique, 2 : 170

الرّباط محمد بن عبد القادر صيرون للتّعبير عن النوايا الحسنة للموركسيين تجاه الهولنديين.

في الميـــدان العلمـــي :

كانت مساهمة الجالية الأندلسية بالمغرب بارزة أيضا في الميدان العلمي، فقد برزوا في ميدان العلوم التّجريبية والصحيحة، كما ساهموا في ميدان التّرجمة، وبفضلهم دخلت عدة مصطلحات تقنية إلى اللّغة العربية.

العلــوم التّجريبيّـة : الطب والصيدلـة :

قرب الملوك السعديون الأطباء الأندلسيين، واتخذوا من بينهم طبيب القصر، واغدقوا عليهم من الصلات، والمكافآت ما شجعهم على النشاط في علاج المرضى، وصنع الأدوية وتأليف الكتب[68].

ومـن هـــؤلاء :

- **أبو القاسم الوزير بن محمد الغساني** : عميد الأطباء والصيادلة في عصره، وقد أخذ عنه جماعة من الطلبة ودرسوا مؤلفاته[69].

- **علي بن إبراهيم الأندلسي** : مهر في الطب كسابقه، فباشر العلاج والتّعليم، ونظم الأراجيز في طرق التغذية النافعة، ومداوات بعض الأمراض، وقد أهدى منظوماته إلى السلطان الوليد بن زيدان (ت 1045 هـ / 1636)[70]

التّـــرجمـــة :

برز الأندلسيـون في هذا الميدان أيضا، إذ كان يرجع إليـهم في ترجمة المعاهدات والمراسلات الرسمية، ووجد من بينهم علماء نقلوا إلى اللّغة العربية كتبا إسبانية في الطبّ والصيدلة والفلك والفنون الحربية.

ومن بين هؤلاء نذكر :

---

68) محمد حجي، الحركة ، 1 : 67.

69) أحمد المقري، روضة الآسّ، 217.

70) انظر وصفا لبعض مخطوطاته عند محمد العربي الخطابي فهارس الخزانة الحسنية، المجلد الثاني، ص 206.

- **أحمد بن قاسم الحجري** : عميد المترجمين بالمغرب في عصره، اشتغل بالترجمة وهو بإسبانيا إلى أن اشتهر أمره بها، وانتقل بعد ذلك إلى المغرب ليقوم بنفس الدور، ومن بين أعماله ترجمة كتاب العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع[71]، وترجمة رسالة زيج زكوط[72]، وترجمة فصول من الإنجيل والتّوراة[73].

- **المعلم يوسف الأندلسي** : وهو من الأندلسيين المستقرين بمراكش أيّام السعديّين

- **أبو القاسم الوزير بن محمد الغساني الأندلسي** : من آثاره كتاب مغني الطبيب عن كتب أعداء الحبيب، وهو عبارة عن ترجمة عربية موسعة لكتاب طبي محرر بالإسبانية أو البرتغالية أهداه بعض الأروويين إلى أحمد المنصور الذهبي، وقد أضاف المترجم إلى الأصل مقدمة وفصولا من إنشائه.

اللّغـــة :

يمكننا أن نميز من حيث تأثير الأندلسيين في لغة المغاربة بين مرحلتين :

المرحلة الأولى : وهي التأثيرات التي أحدثتها جالية ما قبل القرن 11 / 17 في لغة المغاربة.

المرحلة الثانية : وتتعلق بالخصوص بالتأثيرات التي أحدثها المورسكيّون في لغة المغاربة في بداية القرن 11 / 17.

انتشار الموسيقى الأندلسية بالمغرب :

يمكن تقسيم انتشار الموسيقى الأندلسية بالمغرب إلى مرحلتين أساسيتين :

المرحلة الإشبيلية : وهي تبتدئ انطلاقا من العصر المرابطي إلى غاية العصر

---

71) مخطوطات متعددة أحسنها مخطوطة الخزانة العامة بالرباط عدد 87ج، وعليها تعليقات في الهوامش بخط المؤلف، انظر وصفا للكتاب عند محمد المنوني، ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي، مقال بمجلة دعوة الحق، العدد3 ، السنة 10 يناير 1967، ص 81 - 85.

72) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط عدد 1433، ضمن مجموع، وانظر وصفا لها عند المنوني، المصدر السابق ص 85 / 88.

73) أنظر أحمد الشّهاب الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين ص : 67 / 68 / / 67/47 / 68 / 61 ...

المريني[74]

المرحلة الغرناطية : وتمتد من الفترة الوطّاسية إلى غاية بسط الحماية على المغرب.

وقد دخلت هذه الموسيقى مع الهجرات الأندلسية الأخيرة في العهدين الوطاسي والسعدي، واستطاعت مدرسة غرناطة أن تطغى على مدرسة إشبيلية[75].

ومن الجدير بالذكر أن دور المغاربة كان بارزا في هذه الموسيقى، إذ أدخل عليها هؤلاء تعديلات مختلفة في ألحانها وأشعارها وترتيبها[76].

الخاتمة :

إنّ العلاقة بين المغرب والأندلس بدأت منذ نهاية القرن 1 هـ / 7 م مع الفتح العربي لشبه الجزيرة الأندلسيّة. وتدعّمت هذه العلاقة بوصول وفود أندلسيّة زمن الإمارة الأمويّة بقرطبة. ولمّا بدأت الدّولة الإسلاميّة بالتّراجع في الأندلس، وسقطت المدن الإسلاميّة الكبرى الواحدة بعد الأخرى، وجد أهل الأندلس في المغرب سندهم وملاذهم، خاصّة بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بإسبانيا. ولئن كانت هجرة الأندلسيّين من وطنهم إلى العدوة الإفريقيّة نكبة بالنّسبة إليهم، فقد مثّلوا لقاحا حضاريّا رائعا بالنّسبة إلى المغرب في كلّ مجالات المعرفة الإنسانيّة.

---

74) محمد المنوني، تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب، مقال بمجلة البحث العلمي، عدد مثنّى 14 - 15 السنة السادسة، يناير - دجنبر 1969، ص 150 - 152.

75) محمد المنوني، المصدر السابق، 152.

76) انظر محمد الفاسي، الموسيقى المغربية المسماة أندلسية، مقال بمجلة تطوان،عدد7، 1962، ص 9 - 11.